

أضواء البيان

@ 86 @ .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { وَفَضَّلَ رَبُّكَ } معناه : أمر وألزم ، وأوجب ووصى ألا تعبدوا إلا إياه . .

وقال الزمخشري : { وَفَضَّلَ رَبُّكَ } أي أمر أمراً مقطوعاً به . واختار أبو حيان في (البحر المحيط) أن إعراب قوله { إِحْسَانًا } أنه مصدر نائب عن فعله . فهو بمعنى الأمر ، وعطف الأمر المعنوي أو الصريح على النهي معروف . كقوله : { إِحْسَانًا } أنه مصدر نائب عن فعله . فهو بمعنى الأمر ، وعطف الأمر المعنوي أو الصريح على النهي معروف . كقوله : % (وقوفاً بها صحتي على مطيهم % يقولون لا تهلك أسي وتكمل) % .

وقال الزمخشري في الكشاف : { وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } أي وأحسنوا بالوالدين إحساناً . أو بأن تحسنوا بالوالدين إحساناً . ! 77 ! قوله تعالى : { وَإِمْسَاكُ تَعْرِضَنَ عَندهمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لِّهْمُ قَوْلًا مَّيْسُورًا } . الضمير في قوله { عَندهمُ } راجع إلى المذكورين قبله في قوله : { وَءَاتَا ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ } . ومعنى الآية : إن تعرض عن هؤلاء المذكورين فلم تعطهم شيئاً لأنه ليس عندك . وإعراضك المذكور عنهم { ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا } أي رزق حلال . كالفيه يرزقه الله فتعطيهم منه { فَقُل لِّهْمُ قَوْلًا مَّيْسُورًا } أي ليناً لطيفاً طيباً . كالدعاء لهم بالغنى وسعة الرزق ، ووعدهم بأن الله إذا يسر من فضله رزقاً أنك تعطيهم منه . . وهذا تعليم عظيم من الله لنبيه لمكارم الأخلاق ، وأنه إن لم يقدر على الإعطاء الجميل فليتجمل في عدم الإعطاء . لأن الرد الجميل خير من الإعطاء القبيح . .

وهذا الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة ، صرح به الله جل وعلا في سورة (البقرة) في قوله : { قَوْلُ مَّعْرُوفٍ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتَدَّبَعُهَا أَذًى } ، ولقد أجاد من قال : قَوْلُ مَّعْرُوفٍ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتَدَّبَعُهَا أَذًى { ، ولقد أجاد من قال : % (إلا تكن ورق يوماً أجود بها % للسائلين فإني لين العود) % (لا يعدم السائلون الخير من خلقي % إما نوالى وإما حسن مردودي) % .

والآية الكريمة تشير إلى أنه صلى الله عليه وسلم لا يعرض عن الإعطاء إلا عند عدم ما يعطى منه ، وأن الرزق المنتظر إذا يسره الله فإنه يعطيهم منه ، ولا يعرض عنهم . وهذا هو غاية الجود وكرم الأخلاق . وقال القرطبي : قولاً { مَّيْسُورًا } مفعول بمعنى الفاعل من لفظ

